مقدمة

هل سألت نفسك يوما ماذا استفدت بما تحمله من شهادة علمية حاربت للحصول عليها؟ هل سألت نفسك يوما عن زمن الكفاح، فى سبيل تربية الأبناء، ليحصل كل منهم على أعلى الدرجات العلمية؟ إن حياة الأبناء استثمار فى تعليم خلق وجيل متعلم يستطيع أن يدخل سوق العمل بمؤهله الذى يحمله، وإننا نرى فى كثير من الأحوال أن حمل الشهادة لم يعد يكفى إلى الدخول فى سوق العمل، وأصبحت الدرجات العلمية من باب الوجاهة، فكم من حملة المؤهلات من أعلى الدرجات ضلت طريقها، وأصبح ما تعلمناه هو الخسارة المتزايدة فى فقد سنوات كثيرة لم نستفد منها.

وفى ظل الحياة والتعليم، نسينا أن نوثق الشهادة الأساسية فى حياتنا، إنها الشهادة الكبرى؟ فما هى الشهادة الكبرى؟ فإذا كانت الشهادات نحملها على أعناقنا، وتؤهلنا إلى الدخول لسوق العمل فالذى أعنيه هنا أن هناك شهادة أخرى ذات طابع خاص هى الشهادة الكبرى التى تمنح لنا أمرين: الأمر الأول سعادة الدنيا، والأمر الثانى حسن ثواب الآخرة.

إن الشهادة الكبرى والتى تغافلنا عنها وابتعدنا إلا من رحم فى ظل **{شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} (الفتح-١١)**. إنها شهادة نحصل عليها بمجرد أن ننطق بها، فإن مجرد النطق بشهادة لا اله إلا الله محمد رسول الله نحصل على الشهادة الكبرى، فلنستعرض أمام أنفسنا، هل لدينا شهادة من نوع آخر فى فن التعامل مع الآخرين، وليست شهادة للحصول على وظيفة؟ إن شهادة التعامل مع البشر تحتاج إلى حصولنا على الشهادة الكبرى، ليحب بعضنا بعضا وإن من يحمل هذه الشهادة فقد فاز، إنها شهادة تحمل فى طياتها الخشية والتقوى، فتصبح معاملاتنا خالصة لوجه الله.إن الشهادة الكبرى هى شهادة يقين وإيمان. هى شهادة التعامل بخلق كريم. إنها شهادة التميز **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** .(القلم-٤).

إن الأخلاق كالماء فى زجاجة إذا فقد الغطاء فلن نتحكم فى السائل بداخله، فهو عرضة للتلوث ويتطلخ بالأوساخ فتقل نقاوة الماء، فغطاء الماء يتمثل فى القيم الموروثة، ومن يتحكم فى الغطاء المحتوى للماء ضمن نقاوة المحتوى، فحين تكون الأخلاق مجرد اسم فى كتاب، أو مجرد حروف تلتصق بعضها البعض لتكوِّن كلمة فارغة المعنى والمحتوى لأنها غير قابلة للتطبيق، وتصبح العلاقات المألوفة ما هى إلا عبارة عن عادات متكررة لا يصاحبها التفكير والتغيير للأفضل {**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**}. (الرعد -١١).

إن آلية الحركة فى الحياة، وفى ظل صراعات النفس والتى تهدف إلى فك روابط القيم والأخلاق ودون وجود منهج حقيقى، قد تصل بنا إلى مرحلة السكون ولا تتحرك، وتصبح آلية التكرار فاقدة لحس الجمال، وتعامل البشر فيما بينهم صار كالجزر المتناثرة، التى تعبث فيها الأمواج دون وقاية من حواجز قوية، فلا الجزء يشعر بانتمائه للكل، ولا الكل مترابط برابط مشترك فيسهل معه الاختراق، فيسهل لهذه الجزر الإنسانية أن تغرق.

و الروابط الجزيئية فى الكيان البشرى، هناك من يحاول أن يفكك هذه الروابط، وحينما تتفكك الروابط نصاب بالانهيار، وإن مقدمة الانهيار من باب الغواية {**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**(٣٩) **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** (٤٠)}. (الحجر ٣٩-٤٠).

إن المعركة الحقيقية داخلنا حين تتنازع النفوس الثلاثة، إنها معركة النفس بداخلنا، والإنسان ما هو إلا ساحة قتال بين النفس اللوامة، والنفس الأمارة، والنفس المطمئنة، إنها معركة مستمرة داخلنا، إنها معركة الغواية بين همس الشيطان ومقاومة الإنسان، تهدف إما للانحراف أو الاستقامة { **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ** (٤١) **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** (٤٢) }. (الحجر ٤١-٤٢).

إن الانحراف فى عين الغواية كالبحر الهائج المضطرب، فقانون الأخلاق والأمانة يتعرضان لأحمال كثيرة تضعف بداخلنا مقاومة مُعَامِل التحمل، ولن يستقيم الأمر إلا بالتقوى والإيمان الكامل بأن هناك عرض ولقاء، عرض على

الخالق لنطلع على كتاب أعمالنا {**فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول: هاؤم اقرءوا كتابيه (١٩) إنى ظننت أنى ملاق حسابيه (٢٠) فهو فى عيشة راضية (٢١) فى جنة عالية(٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية» (٢٤)**}. (الحاقة ١٩-٢٤).

إن القضية الكبرى تتلخص فى أن هناك عودة وعالم آخر غير الذى نحن فيه، إنه إيمان بالتصديق حين نحمل على أكتافنا شهادة (**لا اله إلا الله**) إنها شهادة النجاة، إنها شهادة اجتياز إغراء النِعم فى الدنيا وشكر المُنْعِم على ما منحنا بغير حساب للفوز بالجنة ونعيمها، وإن مفتاح النجاح يكمن فى اليقين بداخلنا (**فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**). (يس- ٣٨).

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا لوجه الله، وأن يحسن ختامنا آمين.

{**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**}. (البقرة -٢٨٦).